زوجة الشيطان

للفيلسوف السياسي — نيقولا مكيافيلي — الايطالي

للاستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

اعتاد نزلاء جهنم من الأبالسة أن يسمعوا من نزلائها من الرجال أن سبب شقائهم وتعاستهم معيشتهم التي جلبت عليهم غضب الله ، فسلكهم في سقر ، يرجع إلى غلطة كبرى ارتكبوها في حياتهم الدنيا ، وهي أنهم تزوجوا وأحسنوا الظن بالنساء .

فاجتمع الأبالسة يوما بملكهم (بلتو) وتشاوروا في مصدر هذه الشكوى ، هل الرجال صادقون في قولهم أم هم متجنون على النساء إذ لا يعقل أن تكون المرأة ذلك المخلوق الضعيف الذي اختصه الله بالرقة واللطف ومنحه الحنان والعطف وزوده بصفات الشفقة والرحمة ، ووهبه الكثير من الجمال سبب كل هذه المصائب والشرور التي حلت بهؤلاء الرجال وغيرهم ممن سيقدمون عليهم . وبعد مناقشات طويلة ، قر الرأي على إرسال واحد منهم إلى أرض البشر ، يتخذ صورة شاب وسيم ويتزوج من واحدة من بنات حواء ، ويقيم معها على الأرض عشر سنوات ، يعود بعدها إلى مقره في سقر ليذكر لزملائه الحقيقة بغير محاباة ولا تجن على ذلك المخلوق كسير الجناح ضعيف القوى .

فوقع الاختيار على الشيطان (تلفاغور) أحد المردة العتاة ، فأرسل إلى أرض البشر بعد أن زود بقوة الشيطان وخبثه ورجسه وفسوقه ، وقد حمل معه مائة ألف جنيه من الذهب ، فلما نزل إلى الأرض ، ظهر في صورة شاب له من العمر ثلاثون سنة وسمى

وختمت الحفلة بكلمة طيبة من معالي فؤاد سراج الدين باشا

مرتبة الشرف الأولى :

أشرت في عدد سابق إلى مسألة « الدكتوراه » التي منحت لقرينة عميد كلية الآداب مع مرتبة الشرف الأولى ، فأثار ذلك حملة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول . ولهذه المسألة قصة انتهت إلى حل .

أما القصة فيحكيها لنا هؤلاء الثائرون إذ يقولون إن اللجنة التي ناقشت رسالة السيدة التي قدمتها للحصول على الدكتوراه قررت منحها هذه الدرجة مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية بأن تطبعها الجامعة على نفقتها واعتبارها من الرسائل التي تتبادلها الجامعة مع الجامعات الأخرى ، وليس في قانون الكلية أن ترفق الدرجة بمرتبة الشرف الأولى ، وجرى العمل على أن تمنح درجة ممتاز باعتبارها أكبر تقدير ؛ فمنح درجة الشرف الأولى معناه أن درجة (ممتاز فقط) أقل منزلة ؛ ومن تمام القصة أن السيدة عينت مدرسة في قسم التاريخ بالكلية ، وقد اقترح تعيينها أستاذ بالقسم لا رئيس القسم وكان هذا من مواضع الاعتراض ، ولما عرض الاقتراح على مجلس الكلية وكان رئيس المجلس هو عميد الكلية زوج السيدة طلب منه بعض الأعضاء أن يتنحى عن الرئاسة وعن عضوية المجلس ، فلم يفعل ، وصدر القرار بتعيينها .

واجتمع حملة الدكتوراه ثائرين ، واقترح بعضهم أن يأتي كل منهم بشهادته ؛ ويحرقوا الشهادات في فناء الجامعة وقدموا احتجاجات ، ورتبوا الأمر على أن يرفعوا القضية إلى مجلس الدولة

ولكن جاء الحل على يد مجلس الجامعة الذي كان معروضا عليه أن يوافق على ما قرره مجلس الكلية من منح السيدة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى ... إلخ . قرر المجلس حذف « مرتبة الشرف الأولى » فبقيت درجة « ممتاز » نهاية التقدير كما كانت عليه الحال من قبل .

وبذلك انتهى الاعتراض القانوني على منح الدرجة ، أما مسألة التعيين فما أظن الاعتراض فيها عدا الترشيح من غير رئيس القسم ، قائما إلا على ما أريد للعميد من التحرج ، فليس في القانون أن يتنحى الرئيس عن الرياسة والعضو عن العضوية لأن أمر تعيين زوجته معروض على المجلس ، ولكن العميد لم يقبل وجهة نظر من أرادوه على التحرج ، وزوجته بنى الخير .

عباس خضر

نفسه (رودريجو كاستيجليا) نجل أحد الأمراء الأسبان واسمى الثروة عظيمى المكانة وقد تربى تربية عالية وتاق من الثقافة الشيء الكثير .

ظهر فى مدينة « فلورنسا » ليبحث فيها عن زوجة صالحة تشاركه المدة التى كتب عليه أن يقضيها على الأرض، فاتخذ مقامه فى أرقى أحياء المدينة وأحاط نفسه بمظاهر العظمة والثراء ، فاتخذ الخيل المطهمة والعربات الفارهة وأحاط نفسه بحاشية كبيرة من الخدم والأتباع ، وهو ينفق عن سعة وسخاء عجيبين فى إقامة الولائم والحفلات فلم يلبث غير قليل من الوقت حتى أصبح اسمه ملء السمع والبصر فى المدينة، وسارع إلى صداقته أكبر البيوتات وأرقاها فى فلورنسا ، وخاصة من كان عندهم فتيات يرغبون فى تزويجهن ويطمعون فى الجاه العريض والثروة الطائلة .

وسرعان ما وقع اختيار (رودريجو) على الآنسة (أونستا) ابنة السيد (أمريجو دوناتى) من كبار اغنياء فلورنسا وأعيانها ومن أحسن الأسر وأطيبها وأرفعها نسبا . ولكن الدنيا قد ادبرت عنه ولم يبق له من ثروته إلا حطام قليل يظهره أمام الناس بالمظهر الكريم .

وتمت مراسيم الزواج فى حفل عظيم من الأبهة والبذخ، قل أن تجد له مثيلا ...

ولم يمض على زواج (رودريجو) شهر العسل بين أحضان عروسه حتى هام بها حبا وأصبح حبه لها جنونيا فلا يطيق أن يراها ضجرة أو بها سأم . حتى صار ذلك البارد الجبار، عبدا ذليلا لها وأصبحت نزواتها أوامر لا بد من طاعتها ، ورغباتها أحكاما مقدسة لا مفر من الخضوع لها ، فوقف ذلك الشيطان المريد نفسه وماله وراحته على إسعادها وإدخال السرور على نفسها .

***

لم تكن (أونستا) امرأة ككل النساء ، بل كانت شيطانة فى صورة امرأة ذات نزوات طائشة لا حد لها وحيل غريبة لا تنفد ، وكلما رأت من زوجها هياما بها شطت فى طلباتها وغالت فى رغباتها .. فأخذت تقيم الحفلات والمآدب ببذخ كبير وإسراف زائد بحجة الترفيه عن نفسها ، وهى فى الحقيقة تتخذ ذلك وسيلة لتهيئة الجو لزواج شقيقتها كما احتالت على ذلك الزوج المسكين حتى أعدى لكل من شقيقتيها مبالغ كبيرا من المال ليغرى شباب فلورنسا بالزواج منهما . ولم تكتف بذلك بل أجبرته على أن يمد يد المساعدة لأشقائها ليبدأوا حياتهم العملية فى التجارة . وهذا غير مصاريفها الخاصة بالثياب التى لا حد لها .

كما كانت فطة غليظة القلب فى معاملة الخدم حتى أن جميع الخدم رفضوا البقاء عندها وفيهم بعض أبالسة جهنم الذين جاءوا ليراقبوا أعمال (رودريجو) فى حياته الزوجية ، فقد فضلوا العودة إلى الجحيم الذى يعد نعيما بالنسبة للبقاء مع هذه الشيطانة التى قهرتهم وغلبتهم على أمرهم .

وكان الزوج المسكين لا يجد فى نفسه الجرأة على مخالفة أوامرها وإشاراتها ، فإذا تجرأ على ذلك ولو عن طريق الكياسة واللطف، لجأت إلى سلاحها الناعم ، فسارعت إلى الدموع المخزونة الجاهزة لهذا الغرض ، وما أكثر ما كان يجتمع بمجلس عائلة الزوجة المكون من الأب والأم والأخوة وقد ينضم إليهم بعض الجيران ليلقوا على الزوج درسا فيما يجب عليه نحو زوجته من احترام وضرورة إجابة طلباتها المتواضعة ، لتستطيع الظهور بالظهر اللائق ومركز العائلة الأدبى والاجتماعى ، ولا بد أن ينتهى الأمر باعتذار الزوج عما فرط فنه فى حق زوجته والعمل على اكتساب رضاها ورضا العائلة باجابة طلباتها وزيادة مع التعهد بعدم العودة إلى إغضابها مرة ثانية ، وألا يتدخل فى إدارة البيت ولا فى شئونها الخاصة .

على هذا النمط سارت حياة (رودريجو) الزوجية حتى استنفد كل ما جاء به من أموال والتجأ إلى الاستدانة ، والزوجة من ورائه تدفعه دفعا حتى تراكمت عليه الديون وكثر الدائنون وأصبحوا يطاردونه فى كل مكان ، وهو يرى أبواب السجن تنتظره ، فلم يجد بدا من الفرار من وجه الزوجة الباغية ودائنيه القساة ، ففى فجر يوم من الأيام انسل من جانب زوجته واعتلى صهوة جواده وأرخى له العنان ممعنا فى الهرب ، وما أن انبلج نور الصبح حتى شعر بحركة خلفه فنظر فإذا زوجته والدائنون والشرطة يطاردونه ، فخاف أن يلحقوا به . فالتجأ إلى كوخ رجل فلاح يدعى (جيوماتيو) فخبأه حتى مر مطاردوه ، ولم يشعروا عليه ، وبذلك نجا من هؤلاء المطاردين . ولما عرف أنه

أصبح آمنا مطمئنا ، قص على (جيوماتيو) قصته من وقت أن ترك حياته الهادئة فى جهتم إلى أن التجأ إليه طريدا لا يمتلك من حطام الدنيا مثقال ذرة ، فرق الفلاح لحاله وتألم لما لقيه ، فوعده (رودريجو) أن يكافئه على معروفه الذى قدمه له بحمايته من أعدائه وأنه سيسوق إليه الثروة والغنى من كل مكان . واتفق معه على أنه عند ما يسمع أن بنت أحد الأمراء أصابها مس من الشيطان وأن أمهر الأطباء قد عجزوا عن مداواتها ، فعليه أن يتقدم هو مظهرا استعداده لطرد الروح الشريرة التى تحتل جسم المريضة ، فينجح حيث فشل الجميع ، وعليه أن يطلب من الأجر ما يغنيه عن حياة الكد والتعب . وتركه وانصرف وبعد قليل من الوقت شاع فى المدينة أن ابنة السيد (أمبرجو أميدى) مسها الشيطان وسكن جسدها ، وأن جميع ما بذله الأطباء ذهب هباء وأن ما أجرى لها من رقي وتعاويذ أخفق تماما ولم يأت بنتيجة . حتى أن أهلها قد يئسوا من شفائها ولم يعد لهم أمل فى نجاتها .

وسمع (جيوماتيو) بذلك فذهب إلى السيد (أمبرجو) وطلب رؤيتها فلما أدخل على المريضة أخذ يتمتم بتعاويذ غير مفهومة ويقوم ببعض الصلوات ثم اقترب من أذن المريضة وهمس فيه قائلا : (رودريجو) أما زلت عند وعدك ؟ فرد عليه صوت خشن قائلا : إنى مغتبط بحضورك وأنا خارج الساعة . فلم تمض لحظة قصيرة حتى انتفضت المريضة وعاد إليها عقلها وصحتها وكأنه لم يكن بها شيء . ولما سئل (جيوماتيو) عن الأجر الذى يريده طلب ٥٠٠ جنيه . فأخذها وخرج مشكورا من الفتاة وأهلها جميعاً . وفى الخارج التقى (برودريجو) فقال له هذا القدر تواضعت فى طلب الأجر وهـــذا لا يغنيك ولا ينفعك ، لهذا سأحل فى جسم بنت الملك (كارلو) ملك نابلى وعندما تذهب لمداواتها ، اطلب مبلغاً كبيرا يكفل لك الغنى مادمت على وجه الأرض وتصبح غير محتاج لأحد ، على أنك لا تتدخل بعد ذلك فى أعمالى ، فرضى بذلك (جيوماتيو)

***

لم يمض وقت طويل على شفاء كريمة السيد (أمبرجيو) حتى أصبح اسم (جيوماتيو) يتردد فى كل مكان من فلورنســـا وما يحيط بها من القرى بل امتدت شهرة مقدرته على شفاء المرضى بهذا النوع إلى جميع أنحاء ايطاليا .

وبينما الناس يلهجون بذكر (جيوماتيو) ويتناقلون أخباره اعترى ابنة الملك (كارلو) مرض من النوع الذى أصاب ابنة السيد (أمبرجيو) فطاب الملك الأطباء ورجال الدين وغيرهم فباءوا جميعا بالفشل ، فبعث الملك فى طلب (جيوماتيو) فذهب إلى نابلى فلما دخل على المريضة وتمتم بعض كلمات سرعان ماشفيت من مرضها بمقدرة تشبه المعجزات ، ففرح الملك وأهل الملكة جميعاً وأكرموا (جيوماتيو) وأغدقوا عليه المنح والعطايا حتى خرج من المدينة واضيا بما أصاب من مال كثير . وفى خارج المدينة التقى و (رودريجو) فقال له الأخير ، لقد رددت جميلك مضاعفا ، وأنا الآن لست مدينا لك فإياك والتعرض لى بعد ذلك فإنى سوف أنتقم من بنات حواء ، فى المدة الباقية لى على الأرض ، فوافق (جيوماتيو) على ذلك وعاد إلى بلده فرحا مغتبطا .

وبدأ (رودريجو) انتقامه ، فحل فى جسم صاحبة السمو الملكى ابنة الملك لدوبج الثانى ملك فرنسا ، فظهرت عليها الأعراض التى ظهرت على ابنة ملك نابلى ، وكان اسم (جيوماتيو) قد وصل إلى فرنسا ، فأرسل جلالة ملك فرنسا إلى جيوماتيو يرجوه منه الحضور لمعالجة ابنته بما عرف عنه من مهارة فائقة ، ولكن (جيوماتيو) اعتذر بضعفه وكبر سنه وطول السفر ، فلم يجد الملك بداً من اللجوء إلى ملوك ايطاليا ليحملوا (جيوماتيو) على الذهاب إلى فرنسا ، فكان له ما أراد .

فلما وصل (جيوماتيو) إلى باريس ومثل بين يدى الملك ، أخبره بخشوع أن مهارته فى طرد الأرواح الشريرة محدودة إذ أن كثيرا منها تكون من الدهاء والخبث بحيث يتعذر عليه طردها. عند ذلك غضب الملك وهدده بالقتل، إن هو لم يستطع شفاء ابنته، فخاف جيوماتيو وارتعدت فرائصه فقبل أن يرى المريضة ، فلما اختلى بها همس فى أذنها قائلاً (أنت هنا يا رودريجو) فسمع صوتا ليس غريباً عنه يقول: (وماذا تريد؟) فهم (جيوماتيو) شجاعته وتوسل إليه أن ينقذه من ورطته وينجيه من غضب الملك ، ولكن الشيطان لم يلن قلبه ، فأجابه فى قسوة وعناد : ألم نتفق على ألا تعترض طريقى ؟ وماذا تريد بعد أن نلت جزاء ما قدمت لك وأصبحت من الأغنياء المعدودين ، فبأى حق تطلب منى مزيدا ،